حتى مثل هذه الشقة الصغيرة ــ ، ويقيم مع خمسة أو ستة أطفال في حـــي حقير « للسود » ؟ ــ وكيف يمكن أن تنشأ علاقات أيضا بين ذلك البيروقراطي الذي يعمل في دائرة ما ، والذي يحلم أن يظل في مكانه هذا حتى التقاعد .. وهو يعلم تماما .. أن طرده من وظيفته عمليا غير ممكن هذا من ناحية ، وبين المهاجر الجديد القادم مـــن الاتحاد السوفييتي الذي يذهب عشرات المرات « للمقابلة » من أجل العمل .. ويتلقى دائما نفس الجواب « سافلانوت » (الصبر) ، و (كل شيء سيكون حسنا) ؟

ان فيرتليب يورد الحديث التقليدي الذي يدور بين موظف الدائرة الحكومية المكلف بالاهتمام بالقادمين الجدد ، وبين مواطن سوفييتي سابق :

« ــ لا يوجد عمل ، ولا يتوقع قريبا . ولكن كل شيء سيكون حسنا .

ــ كيف يمكن أن يكون كل شيء حسنا ، اذا كان مكتب العمل لا يجد لنا عملا ؟

ــ الواسطة ضرورية .. وكل شيء سيكون حسنا .

ــ لا توجد لدي شقة .

ــ الصبر . ولكن لماذا تريد أن تقيم في حيفا ؟ أسكن في « ديمون » .

ــ في « ديمون » لا يوجد عمل للمهندسين .

ــ ولكنك ستنتزع بأظافرك لك سكنا .

ــ فليذهب السكن الى الشيطان ، اذا كان المهندس لا يستطيع أن يجد له عملا هناك على الاطلاق .

ــ ولكن هل من الضروري أن تعمل مهندسا ؟ ــ جميعكم تأتون الى هنا وتطلبون .. تطلبون .. اعطونا عملا وسكنا » .

وفي نهاية اعترافه يدلي فيرتليب بهذا التصريح المر : « انه لأمر صعب ان يعترف الانسان وهو في سن الاربعين ، بأن حياته كلها كانت عديمة الجدوى ، ومكرسة لمثل كاذبة . ولكن من وجهة نظري .. يجب أن تكون الحياة مروعة لكـــل واحد صدمـــه الواقع الاسرائيلي ــ كمثلي أنا ــ ولا يجد لديه القوة والشجـــاعة ليحدث اليهـــود الآخرين عن كل شيء ، وعن كل ما يحدث هنا » .

هذا وان بنتسيون غريغوريفتش توفبين صديق فيرتليب الذي ينسجم مع آرائه ، قد استقبل هو الاخر في اسرائيل بأذرع مفتوحة . لقد علموا هناك .. بأنه منذ زمن بعيد .. قد أعلن وبشكل واسع عن رغبته للاقامة في اسرائيل .. وللابد . وتوفبين هذا يختلف عن الاكثرية مـــن المواطنـــين السوفييت السابقين بأنه يتمتـــع بشهرته كصهيوني . ولهذا .. وبدون أي تحقيق معه .. تسلم عمـــلا يتعلق بالسفر من حين لاخر الى الموانىء الغربية . وها هو الان بعد أن غادر اسرائيل يقول بكـــل ألم : « لا أبالغ اذا قلت بأنه غالبا ما داهـــم شعورنا في اسرائيـــل احساس بأننا فعـــلا اناس سابقون » .

ــ ولا يتوقف توفبين عن ارسال التماساته من أجل السماح له بالعودة الى الاتحاد السوفييتي . ومما يثير الدهشة حقا ، تلك الثقة .. أو بالاحرى الثقـــة بالنفس التي تبدو في التماسات وتوسلات غالبية المهاجرين بالسماح لهم بالعودة . حتى الكبار منهم والذين حنكتهم تجارب الحياة .. يتصورون .. وبكل سذاجة ، بأنه عند أول طلـــب لهم .. على الفور .. سيرتفع امامهم حاجز الحدود .